د. أيمن بوطرفة | جامعة أم البواقي، الجزائر | 2025\2026

المحور 4: الفلسفة و العلم

السرديات الكبرى لمصادر المعرفة الانسانية هي ثلاث : الفلسفة ، الدين والعلم، ولدينا كذلك المعلومات الشائلة المتداولة في الشارع وبين عامة الناس ، ولكن تلك لا يمكن تصنيفها مع المعارف المتحقق منها. وفي هذا السياق يُطرح التساءل حول علاقة الفلسفة بالعلم ؟

في المحاضرات السابقة وسبق وتم معالجة موضوع تعريف الفلسفة وطبيعته (انظر المحور 1و2) ، أما عن العلم فهو لغويا نقيض الجهل، ونقول علم أي عرف الشيء وأدرك حقيقته وتعريفه، ومضمونا فهو يمثل مجموع في مجال محدد منظمة ومبرهنة عليها منهجيا، بحيث تمثل نظريات علمية لها أسسها ومبادئها وقوانينها. ويمثل المنهج العلمي أهل تجليات العلم. وفي هذا السياق يعرف فلاسفة المدرسة الوضعية المنطقية وحلقة فيينا[1] المواضيع العلمية على أنها كل تلك المواضيع التي يمكن التحقق منها (مبدأ القابلية للتحقيق)، ومنه استبعاد الميتافيزيقيا وكل ما لا يمكن التحقق منه منهجيا من مجال العلم. وفي سياق نقدي لهذا المبدأ يدعو فيلسوف العلم "كارل بوبر"[2] الى اعتماد مبدأ "القابلية للتكذيب" بدل "مبدأ القابلية للتحقيق". حيث أن المعارف العلمية هي كل ما يمكن التحقق منه ونقده في نفس الوقت، لأن تاريخ العلوم هو تاريخ تطور نقد النظريات العلميات السابقة. ومنه التأكيد على الطبيعة النسبة لنتاءج ومناهج العلوم.

---

[1] الوضعية المنطقية هي تيار فلسفي ظهر في اوروبا ثلاثينيات القرن العشرين، وكان أبرز أعضاءها من العلماء الذين اشتغلوا بالفلسفة (حلقة فيينا) ، يركز على أن المعرفة الحقيقية يجب أن تكون قابلة للتحقق تجريبياً أو منطقياً، رافضةً الميتافيزيقا والادعاءات غير القابلة للاختبار، حاصرة مهمة الفلسفة في تحليل اللغة بهدف تنقيح المفاهيم واللغة وربطها بالملاحظات الحسية

[2] كارل بوبر (Karl Raimund Popperيوليو 1902 في فينا - 17 سبتمبر 1994 في لندن) فيلسوف نمساوي-إنكليزي متخصص في فلسفة العلوم. يعتبر كارل بوبر أحد أهم وأغزر المؤلفين في فلسفة العلم في القرن العشرين كما كتب بشكل موسع عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية. مدافعا عن الليبرالية والديمقراطية. كما انتمى في بدايته الى تيار الوضعية المنطقية ثم قام بنقدها.

في العلاقة بين الفلسفة والعلم

لتحديد علاقة العلم بالفلسفة يجب أن نحدد مميزات كل منها قبل الحديث عن أوجه التداخل والشبع بينها.

فبالنسبة للعلم فإن أهم سمات المجال المعرفي الذي نسميه علما هي ما يلي:

التخصص الدقيق : العلم يدرس مجالا معيا دقيقا. وعليه مقولة أن العلم يدرس الجزئيات ، بينما الفلسفة الكليات.

- **المنهج : حتى نسمي مجالا معرفيا ما أو نظريا ما أنها علم ، فيجب أن تكون خاضعة لمحددات المنهج العلمي، والمنهج العلمي هو نفسه المنهج التجريبي ، ومنهج الاستقراء قديما (الاستقراء الناقص). فشرط العلم هو وجود منهج علمي.**
- **المشكلة والقضايا: بما أن العلم يعالج موضوعا دقيقة، فانه يعالج مشكلة ما ، مشكلة تنتظر حلها بواسطة المنهج العلمي للوصول الى نظرية وقانون علمي يفسرها تفسيرا واضحا دقيقا.**
- **النسبية: بالرغم من أن نتائج العلوم دقيقة وواضحة ، إلا انها ليست مطلقة. فتاريخ تطور العلوم هو تاريخ نقد النظريات العلمية الحديثة لسابقتها وهلم وذواليك.**

أما عن مميزات التفكير الفلسفي فيمكن الحديث عما يلي :

- النزعة الكلية: تعمد السرديات والنظريات الفلسفية الى معالجة عديد المواضيع في آن واحد محاولة الربط بينها لمحاولة الاجابة عن الأسئلة الكبرى للوجود والمعرفة والقيم.
- المنهج : في الفلسفة لا يمكننا الحديث عن منهج واحد كشرط للتفلسف، ففي تاريخ النظريات الفلسفية لدينا العديد من المناهج التي تتعارض وتتداخل وتتخارج في آن واحد من دون أن تفقد صفتها الفلسفية. كما أن النزعة الكلية للفلسفة والتي تجعلها تعالج مباحث مختلف الطبيعة مثل الميتافيزيقا والمعرفة الطبيعية والقيم تجعل من التعدد والاختلاف المنهجي طبيعتها
- الاشكالية: تعالج الفلسفة اشكاليات وليس مشكلات دقيقة. والاشكالية تطرح سؤالا أو اسئلة تعالج مواضيع قد لا تقبل حلولا نهائية، أو انها قد تقبل مجموع من الحلول. عكس المشكلة العلمية التي تعالج موضوعا دقيقا بمنهج تجريبي يهدف الى الوصول إلى قوانين علمية، بينما الاشكالية الفلسفية تتناول قضايا الكليات والمبادئ بالتأمل العقلي النقدي، فتتميز إما بتعدد الحلول وعدم حسمها النهائي.

أما عن العلاقة بينهما فيمكن القول أنها كانت سابقا علاقة تاريخية وطيدة. فقد ولدت العلوم من رحم الفلسفة وانفصلت عنها تدريجيا، ومنه مقولة أن الفلسفة أم العلوم، حيث كان العلوم الطبيعية سابقا تسمى بالفلسفة الطبيعية. وهي حاليا علاقة استفادة متبادلة، بحيث تستفيد الفلسفة من دقة المعارف العلمية ونتائجها في تصويب نظريتها الى قوانين الحياة والكون، في حين تستفيد العلوم من النزعة العقلية النقدية للفلسفة ورؤيتها الكلية لتربط نتائجها مع بقية

مجالات الحياة الاخرى، بما يساهم في نضجها وتطورها. وعليه يمكن ان نطلق على طبيعة تلك العلاقة أنها "علاقة تكاملية". وفي هذا السياق ظهرت اليوم فلسفة العلوم، والابستيمولوجيا كمجالات تجمع طبيعة دراستها مناهج وطبيعة نتائج العلوم والفلسفة.

حيث تمثل الابستيمولوجيا حلقة وصل بين الفلسفة والعلوم الطبيعية، فهي الرابط الذي يربط الفلسفة بالعلوم بامتياز. فالابستيمولوجيا أصلها فلسفي، حيث اختلفت المدارس الفكرية في تعريفها بين "نظرية المعرفة" و"فلسفة العلوم"، وهي بتعريف متداول يمكن تعريفها أنها : "دراسة نقدية للعلوم والمعرفة ومختلف نتائجها ومناهجها"، وهي بهذا تمثل دراسة فلسفية للعلوم.

تاريخيا كانت الابستيمولوجيا آخر الحقول المعرفية ظهورا، فقد ظهرت كفرع معرفي متمايز في الفترة المعاصرة، نتيجة تطور دراسات العلوم الانسانية والفلسفة المعاصرة. وهي تمثل كذلك نزعة للتحول نحو التخصص في دراسة الظواهر، فأصبح يمكن الحديث عن ابستيمولوجيا الرياضيات، ابستيمولوجيا البيولوجيا، ابستيملولوجيا الطب، ابستيمولوجيا العلوم الانسانية وغيرها ...

تمثل الابستيمولوجيا وسيطا معرفيا بين الفلسفة والعلوم، حيث تمتد دراستها اليهما الاثنين. وهي تمثل أيضا فضاء للقاء الفلسفة بالعلوم، بما يثبت العلاقة الوطيدة بينها.

وفي سياق الحديث عن طبيعة علاقة الفلسفة بالعلوم نسلط الضوء هنا على محاولات بعض المفكرين والفلاسفة لطرح سؤال تلك العلاقة والاجابة عنه:

قسم "سيغموند فرويد Sigmund Freud "أهم منظري علم النفس الحديث، مجال النفس الانسانية الى الى جزئين، جزء واعي تحكمه الارادة والوعي، وجزء غير واعي، تحكمه الغرائز والمكبوتات، وأعتبر فرويد أن الجزء الغير الواعي يغلب الى الجزء الواعي عند أغلب البشر، وهذا الجزء الغير الواعي ذاته هو ما أعتقد فرويد أن يمكن موضعته وإخضاعه للتجارب السريرية وبالتالي الى المنهج العلمي، كما أعتقد فرويد انه من خلال استخدام العقاقير وابتداع طرق علمية في التنويم المغناطيسي، فانه يمكن فتح بوابات المكبوتات لدى الانسان، وبالتالي امكانية تشخيص ومعرفة أسباب مختلف الأعطاب والعلل النفسية التي تصيبه. وبهذا يظهر علم النفس التحليلي كمحاولة لتطبيق المنهج التجريبي على الظواهر النفسية .

فان كان دراسة الوعي الانساني خاصا بالفلسفة، فان ادراك الجوانب اللاواعية فيه يتطلب مناهج علمية مثلما قال بدلك فرويد ومن سار سيره.

أما بالنسبة للفيلسوف والمفكر الألماني "فلهلم دلتاي Wilhelm Dilthey ، والذي ينتمي الى تيار فلسفة الحياة، فقد كان صاحب اسهام كبير ومهم في تطور مناهج العلوم الاجتماعية، حيث أنه الفرق بين موضوعين. بين مواضيع العلم المتمثلة في الظواهر الطبيعية والمادية وبين مواضيع الفلسفة والعلوم الانسانية المتمثلة في الظواهر الانسانية، حيث قال أن دلك الفرق يتبعه فرق في أنماط المعرفة، فالعلوم الطبيعية والمادية يتم التعامل معها من خلال *التفسير* أما العلوم الانسانية فانها تتطلب *الفهم*. وعليه فالعلوم الطبيعية والمادية تحتاج

شرح وتفسير الظواهر وبيان القوانين التي تحكمها بدون البحث عن الدوافع والأسباب، في حين المنهج في الفلسفة والعلوم الانسانية تحتاج الفهم، لان يتعامل مع الظواهر المعنوية الانسانية، ومنه اختلاف المناهج بينهما وضرورة مراعاته هاته الفروق.

"إن هذا التعارض بين "الفهم" و"التفسير"، هو نفسه التعارض بين منهج العلوم الطبيعية ومنهج العلوم الإنسانية، لأنه إذا كان المنهج الأول يستند إلى التفسير، فإن المنهج الثاني يقوم على الفهم: "إن الكلمة الأساسية في التأويل أو الدراسات الإنسانية هي الفهم، والفهم كلمة متميزة من التعليل الذي يقوم عليه العلم الدقيق. الفهم معوله على الربط بين الجانب الداخلي والجانب الخارجي. العلم يعلل، والدراسات الإنسانية تتفهم الحياة أو التجربة". إن "الفهم" يتجاوز حدود الواحدية المادية، ويرفض تسوية الظاهرة الإنسانية بالظاهرة الطبيعية/المادية، وينظر إلى الإنسان على أنه ظاهرة متجاوزة وفردية وذات خصوصيات، وهو ما يعني أنه لا يمكن تفسيرها أو تعليلها أو دراستها من الخارج، أو صياغة قوانين عامة حولها كما نفعل مع الظواهر الطبيعية، وإنما ينبغي النفاذ إلى أعماقها ودراستها من الداخل قصد تأويلها وفهمها. "

ومن هنا ولدت المناهج التأويلية، أو "الهيرمونيطيقا Hermeneutics "التي تحاول ايجاد مناهج تلائم روح الظواهر الانسانية، وفي نفس الوقت تسمح بوجودها كعلوم قائمة بذاتها.

في سياق آخر يرى الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر Martin Heidegger، "أن العلم لا يفكر"، وهي عبارة القصد بها أن العلوم الدقيقة وان كانت تنتج

نظريات وعلوم ومعارف وتكنولوجيات وآليات ، فان مهمتها تنحصر الى انتاج التقانة والتطوير الداخلي للعلوم كل في مجالها، وبالتالي فهي لا تفكر ولا تتأمل في اشكاليات الوجود ومآلات تلك النظريات ومنتجاتها، فلا تربطها بالسياقات الحياتية، ولا تتساءل عن مآلات وعطالاتها وغاياتها وكيفيات توظيفها. وهذا الأمر تعنى به أنماط التفكير الفلسفي الذي يتطلب فهما وتأملا لمختلف الظواهر الانسانية ، وبالتالي فهنالك خصوصية موجودة تفرق بين دراسة الظواهر المادية والطبيعية وبين دراسة الظواهر الانسانية، وهو البعد الوجودي والخصوصية الانسانية للظواهر الانسانية بعامة، ذلك البعد الذي يستعصي حصره في المناهج التجريبية العلمية النمطية.

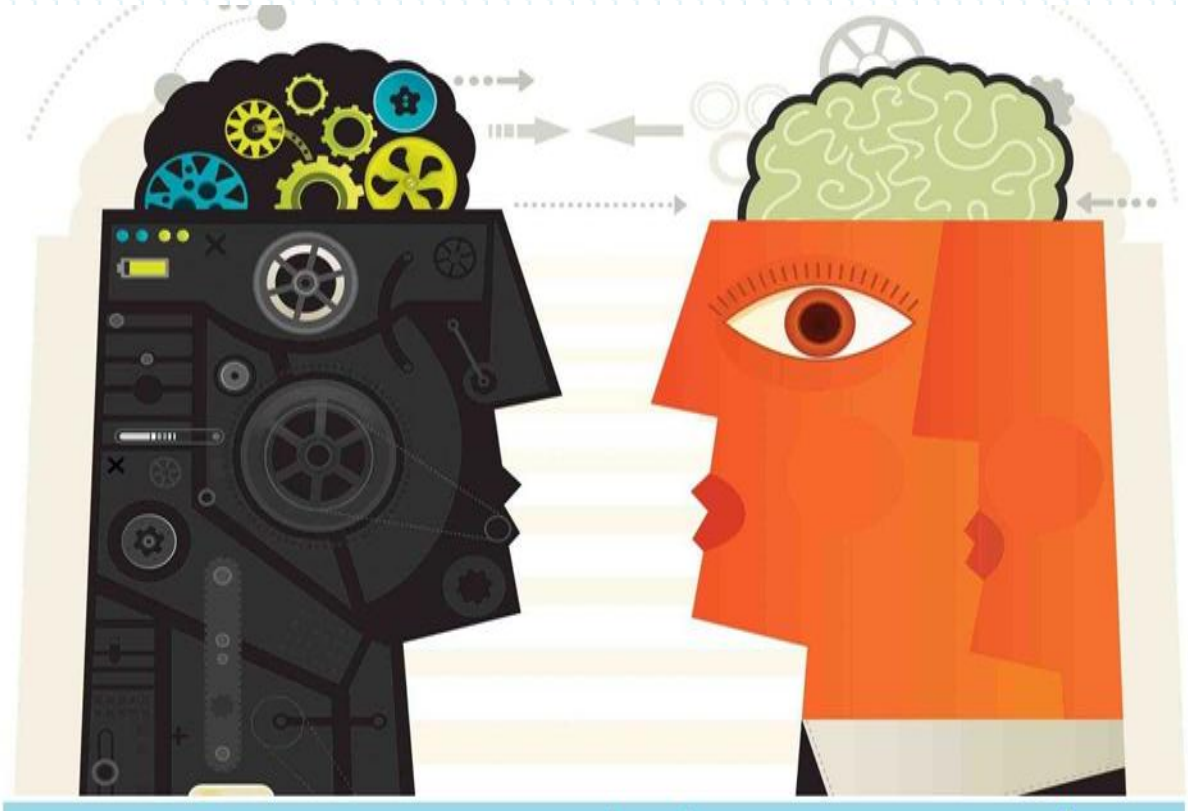

المحور4: الفلسفة و العلم